القدّيس نيكيفوروس الأبرص: عجائبه بعد رقاده

• القدّيس نيكيفوروس ينقذ الشيخ إفمينيوس من الموت

في أحد الأيّام، كان الشيخ إفمينيوس وحده. كان الطقس حارًّا جدًّا والبعوضُ كثيرًا. أحضرَ له أحدُهم موادَّ طاردةً للحشرات وبدأ يرشّها في كلّ أنحاء قلّايته. وامتلأت القلّاية بكاملها برائحة السمّ. خرج وعاد إلى قلّايته وأخلد إلى النوم. وكان ليَموت هناك بالتأكيد، فالأمر يشبه دخول فرنٍ فيه سمّ.

روى لاحقًا: «ما إن استلقيتُ على السرير وغفوتُ حتّى رأيتُ القدّيس نيكيفوروس يسحبني من كتفي، ويرمي بي خارج قلّايتي ويأمرني قائلًا: ماذا تفعل يا بنيّ؟ ستموت بهذه الطريقة! ألا تدرك ذلك؟ لا تدخلْ إلى القلّاية حتّى الصباح!».

إذا كنتَ أبًا فإنّكَ تعتني بابنك، وتقوم بتوجيهه حتّى بعد موتك. قال القدّيس نيكيفوروس للشيخ إفمينيوس: "لا تدخل القلّاية مجدّدًا! افتح الأبواب والنوافذ وقم بتهوئة القلّاية".

• تعزيةٌ في الحزن واليأس

يروي الشيخ إفمينيوس أيضًا قائلًا:

«كنتُ متضايقًا جدًّا: أصابني أمرٌ سيّئٌ للغاية و"اسودَّ" قلبي من الأسى. أُصِبتُ باليأس والحزن ورحتُ أبكي. قلت: "أين أنتَ أيّها الأب نيكيفوروس؟ كنتَ عوني ومُلهمي وتعزيتي، والآن أنا متروكٌ وحدي في هذا العذاب". وفيما كنتُ أفكّر في ذلك، شعرتُ بيَدِ أحدهم تضرب رأسي. التفتُّ، ومَن رأيت؟ الأب نيكيفوروس الراقد! قال لي: "يا أبانا، لا تدَعِ الإحباط الشديد يصيبكَ، يجب ألّا تفعل ذلك. لدينا الروح القدس ويجب ألّا نتضايق". عندما ضرب رأسي، شعرتُ وكأنَّ نسيمًا قد هبَّ في قلبي، فأصبح تدريجيًّا أقوى، وتلاشى الاضطرابُ مفسِحًا المجال أمام الفرح بالروح القدس».

هكذا يتواصل قدّيسو الله بعضهم مع بعض، وينقلون لبعضهم القوّة والإلهام ونعمة الروح القدس؛ وهذا هو الأهمّ. لن يتخلّى عنّا آباؤنا وأمّهاتنا ما داموا أبرارًا. فالبارّ يحيا إلى أبد الآبدين.

الشيخ إفمينيوس وإلى يساره المتروبوليت نيوفيطوس (مورفو)

- **رفاته**

عندما ذهبنا إلى مجمّع البُرص، وجدنا أنّ الشيخ إفمينيوس قد احتفظ برفات القدّيس نيكيفوروس في صندوقٍ في القلّاية المجاورة. قال لي ببساطةٍ شديدة: "إنّني أحتفظ بشيخنا هنا!".

دخلنا إلى هناك وفتحنا الصندوق الحديديّ. ما أجمل الرائحة العطِرة التي خرجت من رفات القدّيس الأبرص! يُشار إلى هذه الرائحة العطِرة في طروباريّته. كم من الناس آمنوا بقداسة القدّيس نيكيفوروس، لا بعد قراءة كتابه فحسب، بل وأيضًا عندما حملوا الرفات بين أيديهم، واشتمّوا الرائحة العطِرة على الفور.

حدث هذا مع كثيرين. فعندما مرضت الأم يوستينا رئيسة دير القدّيس نيقولاوس في "أوروندا" (Orounda)، سافرتُ لرؤية الراهبات. تأثَّرنَ بزيارتي وجلبنَ لي جزءًا من الرفات. لم يكن عطِرًا فحسب، بل بدأ يفيض طيبًا، وظهرت قطرات طيبٍ كبيرةٌ عليه. قلتُ لهنَّ: "لا تخفْنَ أيّتها الأخوات! القدّيس نيكيفوروس معنا وسيُقوّينا!".

منذ فترةٍ ليست ببعيدة، مرِضَ شخصان من المطرانيّة مرضًا شديدًا. وأنا أيضًا كنتُ مريضًا ولم أستطع الخروج. قالت لي رئيسة دير القدّيس نيقولاوس: "سأذهب لزيارة المريضَين". وكانت هذه الرئيسة إحدى معارفنا المشتركين. فأجبتها قائلًا: "لا تذهبي وحدك. خُذي القدّيس نيكيفوروس مرافقًا لك. خُذي رفاته وارسمي به إشارة الصليب على المرضى".

وهكذا فعلَت. كان أحد المريضَين في مستشفى نيقوسيا، والثاني في مستشفى في مدينةٍ أخرى. ذهبت الرئيسة أوّلًا لرؤية الثاني المدعوّ أناستاسيوس. وما إن دخلت الجناح الذي كان فيه حتّى بدأت رائحة عطرٍ تخرج من الرفات المقدّس. لم تملأ الرائحة الجناحَ فحسب، بل والطابق كلّه. صعدَت الممرضات وهنَّ يتساءلن: "ما سبب هذه الرائحة؟ أيّتها الأمّ، هل أحضرتِ عطرًا إلى الجناح؟". أجابت الرئيسة: "ليس معي عطر"، وأرتهُم صندوق الذخائر، فصعدن وكرَّمنَ رفات القدّيس نيكيفوروس. وحصل الأمر نفسه عندما وصلت إلى مستشفى نيقوسيا.

أترَون كيف يرتّبُ الله حوادث كهذه ليُرينا أنّ لدينا آباءً وأمّهاتٍ قدّيسين يعتنون بنا؟ لا يعتنون بنا لكي نشفى من الأمراض الجسديّة -لأنّنا لن نتعافى جميعًا، ولن تحصل العجائب مع الجميع- بل ليُظهِروا لنا أنَّه يجب أن نعيش جميعًا بمعجزة شفائنا الروحيّ والعقليّ، أي بالتوبة والمناولة المتواترة والرحمة والرأفة. بهذه الطريقة سنصبح أبناءً حقيقيّين للقدّيس نيكيفوروس.

- **معونة القدّيس لأسقفٍ خلال خضوعه لعمليّةٍ جراحيّةٍ**

منذ بضع سنواتٍ، اتّصل بي أسقفٌ صَديقٌ لي قائلًا: "غدًا سأخضع لعمليّةٍ جراحيّةٍ معقّدةٍ جدًّا. لم أخبر أحدًا بها. وبما أنّي أثقُ بك، أسألكَ أن تصلّي من أجلي، وأن تصلّي للقدّيس نيكيفوروس الذي تُحبّه والذي كان أباك الروحيّ".

أجبتُه: "حسنًا، قداستك! غدًا "سأرسل" إليكَ القدّيس نيكيفوروس".

في اليوم التالي، صلّيتُ أمام أيقونة القدّيس نيكيفوروس التي في مكتبي وقلتُ له ببساطة، كما كان الشيخ يعقوب (تساليكيس) يُعلّمنا: "أتوسّل إليكَ كثيرًا أيّها القدّيس نيكيفوروس! إنّ هذا الأسقف الكريتيّ ينحدر من بلدك. اذهب وكنْ سندًا له خلال عمليّته الجراحيّة غدًا، أمسِكْ بأيدي الأطبّاء وقُدْهم!".

كان هذا كلَّ ما قلتُه. وبعد أربعة أيّامٍ أو خمسة، تعافى الأسقف من العمليّة الجراحيّة واتّصل بي قائلًا: "أخضعَني الأطبّاء لتخديرٍ عامّ، وطول العمليّة كنتُ أرى القدّيس نيكيفوروس. ولم يبدُ مثل الأيقونة التي على غلاف الكتاب، بل مثل التي رُسِمَت بفضلك".

قلتُ لنفسي: "يا لتواضعَ القدّيسين!".

- **سيرافقكَ القدّيس نيكيفوروس إلى الحياة الأبديّة**

كان جاورجيوس مرتّلُ الكنيسة مريضًا جدًّا ويُحتضَر. جاء إليَّ أولاده ونصحتهم أن يطلبوا أيقونةً للقديس نيكيفوروس. زرتُ جاورجيوس في المستشفى، وكان المرض قد أصابه حيث تكمُن قوّته ويكمن فرحه: في حباله الصوتيّة.

كنتُ أعلم أنّ القدّيس نيكيفوروس كان مرتّلًا جيّدًا، مثل مرتّلنا جاورجيوس الذي خسر صوته بعد عمليّة شقّ القصبة الهوائيّة (tracheotomy). وكنتُ أفكّر في الكتاب الذي سأحضره له، وقرّرتُ أن آخذ كتابًا عن القدّيس نيكيفوروس. أتعلمون ما الذي حصل؟

كان قد قال لزوجته في الليلة السابقة: "سيأتي نيكيفوروس غدًا". فسألته زوجته ماريّا: "أيُّ نيكيفوروس؟ أتقصد متروبوليت كيكوس؟"، فأجاب: "كلّا. نيكيفوروس آخر سيأتي. لا أعلم. قيل لي أوّل أمسٍ في الحلم أنّ شخصًا يُدعى نيكيفوروس سيأتي غدًا". وفي اليوم التالي، ذهبتُ إلى المستشفى وقدَّمتُ له كتابًا عن القدّيس نيكيفوروس؛ وحالما رآه جاورجيوس انفجر باكيًا هو وزوجته.

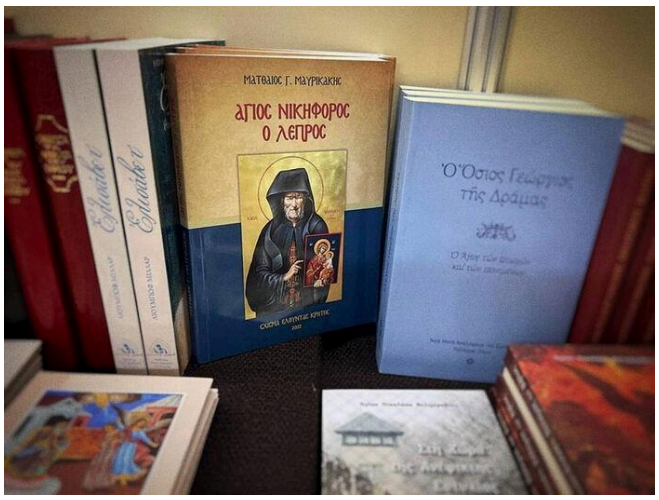

"نيكيفوروس هنا! ونحنا ظنّنا أنّ المتروبوليت نيكيفوروس سيأتي اليوم!". قلتُ له: "جاورجيوس، يا صديقي، إذا أراد القدّيس ذلك، فهو قادرٌ على أن يشفيك. قد لا تُشفى جسديًّا، ولكن عندها سيرافقكَ القدّيس نيكيفوروس إلى الحياة الأبديّة". فأجابني: "سيكون من الأفضل أن يحصل الأمر الثاني". كان رجلًا حكيمًا،

واختار الصلاح الروحيّ الأبديّ. وبعد بضعة أيّامٍ توفّي جاورجيوس. تذكَّر أولاده هذا الحدث، وقدّموا المال لرسمِ أيقونة القدّيس نيكيفوروس. وفي الرابع من كانون الثاني من كلّ عامّ، توضع أمام أبناء الرعيّة لكي يكرّموها.

يُلهمنا القدّيسون من خلال حياتهم حتّى لا نحيا حياةً عديمة التقوى، بحيث نأكل ونشرب وغدًا نموت! فإذا كانت حياة القدّيسين تلهمنا، يكون لحياتنا معنىً وتوجد فيها النعمة والفرح.

- **الشيخ إفمينيوس يرسل عكّاز القديس نيكيفوروس للمتروبوليت**

بعد ثمانِي عشرة سنة من رقاد الشيخ إفمينيوس قرّرتُ أن أقيم خدمة التريصاجيون عند قبر الشيخ إفمينيوس في قريته الأمّ "إيثيا" (Ethia). وقمتُ بذلك وعدتُ إلى أثينا متعبًا جدًّا. في الصباح التالي، سمعت أندرياس يتكلّم فجأةً بصوتٍ عالٍ على الهاتف، وبما أنّي كنتُ مستيقظًا قلتُ له:

- أندرياس، مَن المتكلّم؟
- سيّدة تقول إنّ عليكَ أن تقابلها.

أخذتُ الهاتف وقالت لي اسمها، فسألتها:

- لمَ علينا أن نلتقي؟
- منذ خمسٍ وعشرين سنة، جئتُ من ألمانيا، وقد أخذتَني إلى الشيخ يعقوب (تساليكيس)، واعترفتُ له بخطاياي. سألتُ الشيخ يعقوب: "هل آتي دائمًا للاعتراف عندك؟"، فأجاب: "لا، سأموت قريبًا. لا أريد أن أتركِ يتيمة روحيًّا"، فسألته: "إذًا إلى مَن أذهب للاعتراف؟"، فقال لي: "اسألي الشمّاس، هو يعرف وسيُخبركِ بما عليك فعله".

سألتكَ حينها: "يا أبانا، إلى أين أذهب للاعتراف؟"، فقلتَ لي: "اذهبي إلى الأب إفمينيوس"، وقد قدَّمت لي عندها أفضل عطيّةٍ في حياتي. سيادتك، خلال هذه الأيّام وفيما كنتَ أنتَ في كريت، سمعتُ صوت الأب إفمينيوس يقول لي: أعطي عكّاز القدّيس نيكيفوروس لمتروبوليت مورفو!".

- يا إلهي! أحقًّا تملكين عكّاز القدّيس نيكيفوروس؟

عندما كان الشيخ إفمينيوس على قيد الحياة، تقاطرت إليه جموعٌ من الناس، وأعطى كلَّ واحدٍ منهم شيئًا، لأنّه علم متى سيموت. قال للمرأة: "ستقومين بخدم الصلاة التي كنتُ أقيمها، وسأعطيكِ قطعتين من رفات القدّيس نيكيفوروس وعكّازه بركةً. وعندما يحين الوقت، سأُعلِمُكِ بالمكان الذي ستأخذينها إليه".

والآن كانت تلك الأخت في أثينا، تعيش في حيٍّ فقير. كانت بالفعل قد تقدّمت بالعمر، وقد كرّست خمس ساعاتٍ في اليوم للصلوات.

قلت لها: "أختاه، لماذا أنتِ في كريت؟ هل أحضرتِ لي رفات القدّيس وعكّازه؟ أنا مَن يجب أن آتي إلى القدّيس وليس العكس"، فصرخت على الهاتف وقالت: "لا!!! يجب ألّا تأتي إلى منزلي الخاطئ! أنا سآتي وأجدكَ. أخبرني أين أنت الآن".

أخبرتُها بمكاني وأتت إليّ وأحضرت لي عكّاز القدّيس نيكيفوروس وجزئين من رفات القديس، وصنعنا مزارًا لهذه الذخائر لدار رعاية المسنّين في "Peristeron".

ترَون كيف تشبه حياتنا الحلقة. المسيح في الوسط، ومن حوله القدّيسون كالنجوم، يرسلون إلينا نورهم وقوّتهم. لا تيأسوا، لسنا وحدنا بغضّ النظر عمّا يمكن أن يحصل معنا. إنّ الله أبانا، ووالدة الإله الفائقة القداسة أمّنا، والقدّيسون إخوتنا وأخواتنا في السماء وهم يعتنون بنا!

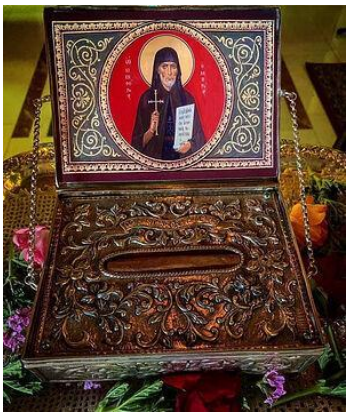

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Metropolitan Neophytos (Masouras) of Morphou. *St. Nikephoros (Tzanakakis) the Leper.* Retrieved from: https://orthochristian.com/164755.html